درس بعنوان: شرح رسالة كشف الشبهات (الدرس الثالث)

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين قال المؤلف غفر الله له ولشيخنا والحاضرين: (إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب وعرفت)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد..

فيقول المؤلف رحمه الله في رسالته كشف الشبهات إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب يعني كانت هذه المعرفة في أعلى درجاتها وهي اليقين ولهذا من شروط لا إله إلا الله اليقين المنافي للشك فالعلم بالتوحيد يجب أن يكون على سبيل اليقين، وعندنا من أنواع الكفر كفر الشك يعني الشك في خبر الله تعالى وخبر رسوله كما قال تعالى عن صاحب الجنة في سورة الكهف ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ..... ﴾ [الكهف:٣٥-٣٦] فلما انتفى اليقين عنده ووقع في الشك في شأن الآخرة قال الله عز وجل له ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٧] وقال الله عز وجل عن الكفار ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢] فلما شكوا في الآخرة كان هذا سببًا في كفرهم وعذابهم في الآخرة ولهذا يجب على المؤمن أن تكون معرفته بالتوحيد معرفة على سبيل اليقين والجزم وكيف يتحصل المؤمن على اليقين بالتوحيد؟ بالعلم بدلائل هذا التوحيد وشواهده وذلك في النظر في كتاب الله عز وجل فإن الله سبحانه أقام الدلائل والشواهد على استحقاقه للألوهية واستحقاقه للعبادة، ويتحصل المؤمن على اليقين بالتوحيد بمعرفة أسماء الله تعالى فإن معرفة أسماء الله تعالى من أعظم ما يحقق للعبد اليقين بالتوحيد واليقين بالله عز وجل، ومما يجعل العبد يحصل اليقين بالتوحيد أن يقف العبد على ما أعده الله عز وجل لموحدين من المقام الرفيع والدرجات العلا في الدنيا وفي الآخرة.

(إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]) وعرفت الشرك الذي قال الله فيه ولهذا يجب على المؤمن أن يعرف الشرك حتى لا يقع فيه ولهذا قال حذيفة كما في الصحيح كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، ولهذا المؤمن يجب عليه أن يعرف الشرك حتى لا يقع فيه الشرك في اللغة يعود إلى المقارنة كما ذكر ذلك ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، وله إطلاقات في القرآن فيطلق على الحظ والنصيب والحصة والتسوية وهذه الإطلاقات وغيرها تعود أو ترجع إلى الأصل الذي ذكرته لك وهو المقارنة، الشرك في الشرع هو اتخاذ ند مع الله تعالى في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات، وتنوعت تقسيمات أهل السنة للشرك لكن مؤداها واحد فمنهم من يقول الشرك ينقسم إلى قسمين شرك أكبر وشرك أصغر، ومنهم من يقول شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي، ومنهم من يقول أن الشرك شرك في الربوبية وشرك في الألوهية وشرك في الأسماء والصفات، ومنهم من يقول الشرك شرك في الربوبية وشرك في الألوهية ويجعلون شرك الأسماء والصفات داخلًا في الشرك في الربوبية، ما أمثلة الشرك في الربوبية؟ اعتقاد أن مع الله من يخلق أو يرزق أو يتصرف في الكون، ما أمثلة الشرك في الألوهية؟ الذبح لغير الله أو دعاء غير الله أو السجود لغير الله أو الاستغاثة لغير الله وجامعها صرف شيء من العبادة لغير الله، ما أمثلة الشرك في الأسماء والصفات؟ اشتقاق أسماء الأصنام من أسماء الله تعالى مثل اللات من الإله والعزى من العزيز من أمثلة الشرك في الأسماء والصفات تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه مثل من يقول سمع الله كأسماعنا وبصر الله كأبصارنا ويد الله كأيدينا ونحو ذلك.

(أحسن الله إليكم، إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ هذه الآية أصل في بيان ما يترتب على الشرك وهي أصل في حكم مرتكب الكبيرة، فأولها إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ هذا فيه أن الله تعالى لا يغفر الشرك إذا مات عليه صاحبه، وقوله سبحانه وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ هذا فيه حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة إذا مات على الكبيرة من غير توبة إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ هل هذا في الشرك الأكبر أو يشمل الشرك الأصغر؟ الشرك الأكبر صاحبه لا يغفر له وهو مخلد في النار كما قال سبحانه ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢] وهذا بإجماع

المسلمين، الشرك الأصغر إذا مات عليه صاحبه لا يخلد في النار بإجماع المسلمين، لكن بقي هل يلحق صاحب الشرك الأصغر بمن مات على الشرك الأكبر فلا يغفر له وإنما يعاقب ويؤاخذ على شركه ثم يكون مآله إلى الجنة أو يلحق بحكم مرتكب الكبيرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ابتداء وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة؟ على قولين لأهل السنة فمنهم من يقول أن صاحب الشرك الأصغر لا يغفر له وإنما لابد أن يعاقب ويؤاخذ على شركه ثم يكون مآله إلى الجنة، ومنهم من يقول إن صاحب الشرك الأصغر إذا مات عليه فهو كصاحب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ابتداء وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بقدر شركه ثم أدخله الجنة.

(أحسن الله إليكم، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم) وعرفت دين الله الدين يأتي بمعنى عام ويأتي بمعنى خاص الدين بالمعنى العام هو الإسلام وهو دين الرسل جميعًا قال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢] وقال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١] وقال تعالى عن إبراهيم ويعقوب ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] وقال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤] فدين الأنبياء والرسل جميعًا هو الإسلام، الدين بالمعنى الخاص هو الإسلام الذي بعث الله عز وجل به محمدًا ﷺ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] والأنبياء والرسل بعثوا بالتوحيد ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

(أحسن الله إليكم، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين الأولى) وعرفت ما عليه غالب الناس من الجهل بهذا التوحيد ويظهر هذا من أن سبب أول شرك وقع في الأرض هو الجهل بالتوحيد كما جاء عند البخاري أن ابن عباس رضي الله عنه قال في تفسير لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ قال في آخر كلامه (فلما نسي العلم عبدت) فوقع أول شرك في الأرض، وتعرف الجهل بالتوحيد عند غالب الناس أن من أشراط الساعة ظهور الجهل وأعظم الجهل هو الجهل بحق الله تعالى ويُظهر ما عليه غالب الناس من الجهل بالتوحيد واقعهم فإن بعض الناس وقعوا في صور من الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

(وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا) وهذا يشير إلى مسألة مهمة وهي هل الأصل في الناس الشرك أم الأصل في الناس التوحيد؟ الأصل في الناس التوحيد وهل معرفة هذا الأصل مهم؟ نعم مهم في الرد على الملحدين والرد على المشركين ما الدليل على أن الأصل في البشرية هو التوحيد؟ أن أصل البشر هو آدم عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١] آدم عليه السلام وآدم نبي كما جاء عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ سئل عن آدم أنبي هو؟ قال: (نبي مكلم) والنبي على التوحيد قطعًا والأصل في البشرية التوحيد لأن الله أخبر عن ذلك قال سبحانه في سورة البقرة ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [البقرة:٢١٣] كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جمهور المفسرين ذكره ابن جرير الطبري على أن كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً يعني على دين واحد وهو التوحيد ويفسر هذا قراءة أبي بن كعب وابن مسعود لهذه الآية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فاختلفوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [البقرة:٢١٣] فوقع الاختلاف بوقوع الشرك وهذا كان في قوم نوح ويدل على هذا آية يونس ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس:١٩] جاء عن ابن عباس عند الحاكم بإسناد صحيح في تفسير آية البقرة ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ... ﴾ [البقرة:٢١٣] قال كان الناس على التوحيد بعد آدم عليه السلام عشرة قرون الأصل في البشرية التوحيد ويدل على هذا أن الله عز وجل خلق الناس على الفطرة قال سبحانه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ يعني خلقة الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠] يعني خلق الناس عليها وقوله أيضًا سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ... ﴾ [الأعراف:١٧٢] وهذا يسمى الميثاق الذي أخذه الله عز وجل على بني آدم وهم في أصلاب آبائهم بالإقرار له سبحانه بالربوبية والألوهية، والأصل في البشرية التوحيد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (كل مولود يولد على الفطرة) الفطرة على قول أكثر أهل العلم المراد بها الإسلام وجاء في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار الأشجعي أنه قال قال: النبي ﷺ (قال الله تعالى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين) حنفاء يعني على التوحيد، وعلى هذا فيتقرر أن الأصل في البشرية التوحيد وأن الشرك طارئ عليها.

(أحسن الله إليكم، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك) وهذا واضح في زمن الشيخ وما بعد زمن الشيخ وقوع بعض الناس في الشرك هذا في زمن الشيخ وما بعد الزمن شيخ، وقد أخبر النبي ﷺ بوقوع الشرك في هذه الأمة فقال (لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمتي

الأوثان) وجاء أيضًا في الصحيح أنه قال (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس عند ذي الخلصة) وذا الخلصة صنم معروف كانوا يعبدونه في الجاهلية ولهذا ذكر المؤرخون أن الشرك كان ظاهرًا في زمن الشيخ في أكثر البلاد الإسلامية وهو أيضًا ظاهر في زمن الشيخ في الجزيرة العربية، وقد ذكر هذا ابن غنام وهو مؤرخ للدعوة ذكره في كتابه روضة الأفكار والأفهام وذكره أيضًا ابن بشر في تاريخه عنوان المجد، لماذا نؤكد على هذا؟ لأن ظهر من الناس من يقول أن القول بظهور الشرك في زمن الشيخ أنه مبالغة، ولهذا نقول أن المؤرخين ذكروا صورًا كثيرة من الشرك كانت ظاهرة وفاشية في زمن الشيخ وما بعده.

(وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين الأولى الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨]) نعم الفائدة الأولى إذا عرفت التوحيد والتزمته تحقيقًا ودعوة وعرفت الشرك واجتنبته أفادك هذا الفرح بفضل الله تعالى عليك بالتزام هذه النعمة العظيمة كما قال سبحانه قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وفضل الله الإسلام وَبِرَحْمَتِهِ رحمته هي القرآن على القول الأشهر عند علماء التفسير أن المراد بفضل الله الإسلام والمراد برحمته القرآن، فالمؤمن يفرح بفضل الله عز وجل وبتوفيقه على توحيده سبحانه.

(أحسن الله إليكم، وأفادك أيضًا الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه) وأفادك الخوف العظيم والخوف هذا شأن الموحدين فإنهم يخافون من الزيغ وتقلب القلب كما قال سبحانه ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] وكان من دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] لا تزغ قلوبنا يعني لا تملها عن الحق وقال سبحانه في وصف المسابقين إلى الخيرات ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ يعني على خوف أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] جاء عند أحمد والترمذي وابن ماجه أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله في هذه الآية أهم الذي يشربون الخمرة ويسرقون؟ قال: (لا يا ابنة الصديق لكنهم الذي يصلون ويصومون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم) وروى البخاري عن عبد الله بن أبي مليكة أحد التابعين يقول: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، وروى البخاري أيضًا أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: المؤمن يرى ذنوبه كقاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كالذباب قال به هكذا، ولهذا المؤمن يخاف من الزيغ ومن

الانحراف ويكثر من سؤال الله عز وجل الثبات ولقاء الله عز وجل على خير حال من التزام الإيمان والعمل الصالح.

(وأفادك أيضًا الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه) نعم أن الإنسان قد يكفر بكلمة واحدة يخرجها من لسانه وهو لا يعلم ولهذا جاء في البخاري وسلم (إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يتبين فيها يهوي بها أبعد مما بين المشرق والمغرب) وجاء عند البخاري أن النبي ﷺ قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يبالي بها يهوي بها في نار جهنم) .

(فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل) هذه المسألة تسمى مسألة العذر بالجهل وأهل السنة بعضهم يقول إنه لا يعذر أحد بالجهل في التوحيد وبعضهم يقول إنه يعذر مطلقًا وبعضهم يقول بالتفريق بين المسائل الظاهرة والخفية وبين إمكان التعلم من عدمه، والشيخ هنا لا يريد أنه يكفر بالعموم لأن هذه تهمة ألصقها به المخالفون له فإنهم في رسائلهم نفروا من الشيخ ومن دعوته بزعم أنه يكفر بالعموم ومعنى يكفر بالعموم يعني يكفر الجاهل وغير الجاهل المعذور وغير المعذور والتكفير بالعموم شأن الخوارج وليس شأن أهل السنة، ولهذا الشيخ رحمه الله رد هذه الفرية في أكثر من رسالة له وقال معاذ الله وقال في موضع آخر ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦] أنه يكفر عموم المسلمين ورد هذه الفرية عنه وعن دعوته تلاميذه من بعده وممن رد هذه الفرية فرية التكفير بالعموم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في كتاب له عظيم اسمه مصباح الظلام، مسألة العذر بالجهل تتلخص في أنه يفرق بين المسائل الظاهرة والمسائل الخفية وبين إمكان التعلم من عدمه، فلا يعذر في المسائل الظاهرة مع بلوغه الحجة أو مع إمكانه التعلم والإعراض عنه ويعذر في المسائل الخفية مع عدم بلوغه الحجة أو عدم إمكان التعلم.

(وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يظن المشركون) وهذا قد يكون من العناد والاستكبار أنه يفعل هذه الأشياء وهو يزعم أنها تقربه إلى الله وقد يكون هذا من الطبع على القلوب فإن الله يطبع على قلوب بعض الخلق فيرون القبيح جميلًا والسيء حسنًا كما قال سبحانه ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ... ﴾ [فاطر:٨] وقال سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ... ﴾ [الأنعام:١٣٧] فالتزيين هو مقدمة للطبع على القلوب فإذا زين شياطين الإنس والجن للعبد الكفر والمعصية أقبل عليها وتعلق بها ثم طبع على قلبه.

(وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يظن المشركون) ولهذا كثير من الفرق والطوائف الضالة يتعبدون وينصبون ويتعبون ويجهدون لكن في الباطل، وكان أبو أمامة رضي الله عنه إذا رأى قتل الخوارج تلا قوله عز وجل وهو يبكي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] وكان عمر بن الخطاب إذا مر على الرهبان في صوامعهم بكى وتلا قوله عز وجل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٢-٤].

(وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يظن المشركون خصوصًا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ... ﴾ [الأعراف:١٣٨]) وهذا فيه أن الزيغ والانحراف قد يقع من الرجل أو قد يكون من الرجل الصالح لأنه لا يؤمن على الحي الفتنة فأتباع موسى عليه السلام على صلاحهم طلبوا من موسى فقالوا ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] وجاء عند الترمذي أن أصحاب رسول الله ﷺ مروا بسدرة يعكف المشركون عندها وينوطون بها أسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ: (الله أكبر إنها السنن لقد قلتم كما قال أتباع موسى لموسى ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]).

(فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ... ﴾ [الأنعام:١١٢] وقد يكون لأعداء التوحيد) هذه الآية العظيمة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢] وكذلك جعلنا الجعل هنا الجعل الكوني القدري فإن الجعل والإرادة والقضاء والقدر والكتابة تكون في القرآن إما كونية قدرية وإما شرعية فالجعل يكون كونًا وقدرًا كما في قوله سبحانه ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ... ﴾ [المائدة:١٣] هذا الجعل الكوني ومثل قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ... ﴾ [الأنعام:٢٥] هذا الجعل الكوني ويكون الجعل في القرآن جعلًا شرعيًا كما في قوله سبحانه ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾ [الشورى:٥٢] وكما في قوله عز وجل ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ... ﴾ [البقرة:١٢٥] وإذا أراد الإنسان أنه يراجع هذه الأسماء فليرجع إلى شفاء العليل لابن القيم وبدائع الفوائد فقد

ذكر ما يقرب من اثني عشر اسمًا تأتي في القرآن بمعنى القضاء أو القدر أو الجعل أو الكتابة الكونية القدرية وأحيانًا تأتي بالشرعية، يخبر الله عز وجل في هذه الآية أنه جعل بحكمته أعداء للرسل وأتباعهم ينصبون لهم المكائد وهؤلاء الأعداء وصفهم الله عز وجل بأنهم شياطين والشيطان كل عات متمرد وهو يكون من الإنس والجن يوحي بعضهم الوحي الإعلام في خفاء ولهذا هم يعتمدون في مكرهم وكيدهم لأهل التوحيد ولدعاة الإيمان على النجوى والكيد في الخفاء والمكر في السر يوحي بعضهم إلى بعض يعني يؤز بعضهم بعضًا ويستفز بعضهم بعضًا يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا يعني يزينون كلامهم ليغروا الناس بتنفيرهم من دعوة الحق وتشويه دعاته يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ثم سلى الله نبيه وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ يعني لو شاء الله عز وجل لما جعل هؤلاء الأعداء ينصبون لك المكائد لكن الله عز وجل شاء ذلك لأجل حكمة من أجل أن يزداد هؤلاء في إثمهم وباطلهم فيزدادوا إثمًا ولأجل أن ترتفع درجة النبيين والمرسلين وأتباعهم، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ يعني دعهم وهذا فيه معنى التهديد والوعيد لأهل الكيد بدعوة التوحيد ودعاة التوحيد فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وفيه أيضًا طمأنة للنبي ﷺ وأتباعه فذرهم فإن كيدهم لن يضرك وأن الله عز وجل سيكفيك ما يقومون به من الكيد والمكر وهذه الآية وما في معناها كما في قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١] لابد أن يستحضرها الداعي إلى الإيمان والتوحيد لماذا؟ لأن كل قائم بالدعوة إلى الإيمان والتوحيد لابد أن ينتهض خصوم الإيمان وأعداء التوحيد للكيد به والمكر به ولهذا لابد أن يستحضرها داعية التوحيد حتى يوطن نفسه على ذلك، ويعلم أن كيد هؤلاء ستكون عاقبته إلى وبال وأن مكرهم إلى سفال كما قال عز وجل ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦] وقال سبحانه ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] ويقول جل وعلا ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل:٥٠-٥١] والشيخ رحمه الله لما يذكر هذا الأمر لأنه كسائر الدعاة إلى الله عز وجل واجه خصوم الإيمان وأعداء التوحيد ممن كادوا له وأرادوا قتله وأرادوا إبعاده وشوهوا دعوته ونفروا منه وسعوا إلى ذلك ما استطاعوا إليه سبيلًا، وتأمل قصة أبا جهل مع النبي التي حكاها الله سبحانه في قوله جل وعلا ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق:٩-١١] يعني النبي ﷺ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ [العلق:١٢] ثم توعد الله عز وجل أبا جهل ومن كان على شاكلته من أعداء التوحيد وخصوم الإيمان ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٤-١٥] لنأخذن بناصيته يعني مقدمة رأسه قال سبحانه ﴿فَلْيَدْعُ

نَادِيَه﴾ [العلق:١٧] يعني فليستعن بأصحابه وشركاءه في الشر لكنهم لا ينفعونه لأن هؤلاء في الحقيقة لا يكذبون الداعي إلى التوحيد أو الإيمان وإنما هم بآيات الله يجحدون والله عز وجل قد ضمن ظهور دينه وعلو شريعته وحفظ كتابه.

(وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج)

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد..